

قضية التحرير ؟ ازاء هذه البلبلة والفوضى الفكرية والرسمية نستطيع ان نلمس الشعور العفوي للشعب العربي الذي طالب بالتحرير الكامل ، وأصر في كل مواقفه السياسية والاجتماعية على ضرورة التحرير ، وكان بشعوره يتجه الى التساؤل عن تقاعس هذه الدول التي اختبرت الاصلاحات العديدة ، والتحويلات التاريخية الاجتماعية التي أوحث بأن الضعف الذي أدى الى النكبة قد تحول الى قوة ضاربة قاضية . وكان لاجهزة الاعلام العربية دورها البارز في المزيد من خديعة الشعب بأن أكدت له جذرية هذه التحويلات والانجازات ، وان الدول العربية أضحت على حال من القوة بحيث يمكنها استرداد حقوق الشعب الفلسطيني ، لولا الاعتبارات الدولية ولولا التدخلات الالهية التي دوما تحمي اسرائيل من الانقراض العربي . وكانت الفجوة العميقة بين الواقع المرير والخيال . وللانصاف نقول انه باستثناء طرفين رئيسيين انطلقا من منطلقات مختلفة اعتقدا بأن المواجهة تتطلب المزيد من الاستعداد ، وان التحول اضاف الى القوة العربية الا انه لم يكف للتغلب على التفوق التكنولوجي الاسرائيلي ، ولهذا دعا فريق من انصار هذا الاتجاه الى التريث والصبر الى ان يكتهل اثر هذا التحول وبعدئذ يتسنى للمجتمع العربي ان يواجه بنجاح المجتمع الاسرائيلي . بينما انطلق الفريق الاخر من منطلق عدم جدوى هذا التحول وان المواجهة الحقيقية لاسرائيل تتطلب كيفا آخر ، ولهذا لن يجدي الانتظار والتريث والاستكمال ومن الافضل الدخول في مواجهة تحريرية شاملة الان من شأن هذه المواجهة ان تهيء تلك الظروف الكفيلة بالتحول الجذري التي من شأنها في نهاية الطريق ان تؤدي الى تصدع جبهة الاستيطان الصهيوني . وكان اتجاه التريث يتمثل بموقف الرئيس عبد الناصر ، بينما تمثل الثاني بالموقف الذي تبناه انصار المقاومة الفلسطينية التي بدأت تنمو في النصف الاول من الستينات . الا ان منطق المقاومة والتحرير رغم استعداد البعض لقبوله وتبنيه ، بقي مسيطرا على فئة محدودة من الناس . ومنطق عبد الناصر تأرجح بين القبول من الجماهير التي آمنت بقيادته ، والرفض من الذين حاولوا التقليل من شأنه عن طريق المزادات العلنية .

في اعقاب النكسة

وبقي الموضوع ، وهو موضوع المجابهة مع اسرائيل رهن التقدير العلمي للقدرة العربية التكنولوجية ، ولم يخرج عن الطريق او اسلوب استكمال هذه القدرة الذي شقته الحركة الناصرية والانظمة العربية الاخرى . وكان لهذا المنطق ان يصطدم بالواقع في حزيران وكانت النكسة . وقد تبين منذ اللحظات الاولى للقتال بأن الهزيمة العربية تفوق سابقتها في هولها وفداحتها واصالتها وانحجار الجيوش العربية التي تكس سلاحها وتحسن تدريبها ، واستؤصل فسادها ، مع التقدم الظاهر للوطن العربي اذهل الشعب العربي في كل اقطاره .

ولا نشك قط بان الشعب العربي في اعقاب الهزيمة قدر هذه الهزيمة تقديرا اختلف كليا مع ذلك التقدير الذي طرحه الرئيس عبد الناصر في التاسع من حزيران ، وكان لعبد الناصر ما اراد . فوضع الهزيمة في اطار نكسة . وحدد معالم واهداف المرحلة المقبلة بارتباطها بازالة اثار النكسة . فلجأ الرئيس الى اتخاذ الخطوات التي ارتآها لتحقيق هذه الاغراض ، فهادن الانظمة العربية التي عاها بالامس ، ودعا الشعوب العربية التي تحركت عفويا لتسديد الضربات للمستعمر المتمثل في شركات النفط الاميركية الى استئناف العمل في السعودية وليبيا ومن ثم اتجه الى اعادة تسليح الجيش واستكمال تدريبه مع محاولات صادقة لاصلاح في الهياكل الفنية المرتبطة بأبواب الحرب .

ولا نغالي ان قلنا بأن ما تبسح حرب حزيران من خطوات عملية اصلاحية بقيادة مصر — التي تمثلت بها الانظمة العربية المنتكسة الاخرى — انما تشكل امتدادا كميًا وكيفيًا للخط السابق من ناحية القدرة التكنولوجية والعلمية والكفاءة العسكرية ، اما على